١٩- فتحُ الفتوح

فتح مكّة المكرّمة هو بِحقٍّ فتح الفتوح . وكان ذلك الفتح في شهر رمضان المبارك سنة ثمانٍ من الهجرة[١]وسبب فتح مكّة المكرّمة نقض قبيلة قريش العهد الّذي كان بينها وبين النّبيّ ﷺ في صلح الحديبية .

لقد كان من شروط صلح الحديبية أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين مدّة عشر سنوات[٢] وأنّ من أراد أن يدخل في عهد النّبيّ ﷺ دخل . فدخلت فيه خزاعة . وأنّ من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل . فدخلت فيه بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة[٣]وكان بين خزاعة وبني بكر ثأرات في الجاهلية وحروب . فلمّا بزغ نور الإسلام هدأت تلك الحروب ، إذ تشاغل النّاس بالإسلام.فلمّا كانت الهُدْنة بين النّبيّ ﷺ وبين قريش استغلّتها بنو بكر بمساعدة قريش سرّاً فهاجمت بنو بكر خزاعة ليلاً وأمدّتها قبيلة قريش بالسّلاح وبالرّجال.كانت خزاعة تسكن الحِلَّ والحرم أسفل مكّة المكرّمة . لقد أرغمت بنو بكر وقريش خزاعة على ترك الحِلّ واللّجوء إلى الحرم ، فلم يرعوا للحرم حُرْمة ، وطاردوهم حتّى ماءٍ لخزِاعة أسفل مكّة يسمّى الوَتِير[٤]وحتّى اضطرّت خزاعة لأن تلجأ إلى بعض البيوت الخالية بمكّة المكرّمة[٥].

أرسلت خزاعة وفداً برئاسة عمرو بن سالم الخزاعيّ إلى النّبيّﷺ في المدينة المنوّرة لإبلاغه عليه الصّلاة والسّلام بنقض قريش وبني بكر العهد الّذي بينهم وبينه عليه الصّلاة السّلام، وذلك بالغدر بخزاعة بمساعدة قريش لبني بكر

---

(١) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٠وفتح الباري ٣/٨ حديث رقم ٤٢٧٦ .

(٢) السّيرة النّبويّة ٢/٢٧١.

(٣) السّيرة النّبويّة ٢/٢٧١و٣٣١

(٤) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣١.

(٥) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣١.

، وإمدادهم بالرّجال والعتاد ، والقتال معهم ليلاً . لقد وقف عمرو ابن سالم الخزاعيّ رئيس الوفد على النّبيّ ﷺ وهو جالسٌ في المسجد النّبويّ الشّريف بين ظَهْرانيَ النّاس، وأنشد أرجوزةً ، بيّن فيها ما حدث تفصيلاً، من الغدر بهم ، وتبييتهم على مائهم الوتير بمكّة المكرّمة ، وتقتيلهم لهم راكعين وساجدين[1].

لم يزد جواب النّبي ﷺ على القول : نُصِرْتَ يا عَمْرُ بنَ سالم[2] ثمّ أرسلت خزاعة وفداً آخر برئاسة بُدَيْل بن ورقاء الخزاعيّ لإبلاغ النّبيّ ﷺ بما حدث لهم وتأكيد رسالة عمرو بن سالم الخزاعيّ[3].

تنبّأ النّبيّ ﷺ بتحرّك قريش لتدارُك الأمر ورأب الصّدع وبمجيء أبي سفيان زعيم قريش ليشدّ العَقْد ويزيد في المدّة[4] وقد كان . فقد ذهب أبو سفيان حتّى قدم المدينة فدخل على ابنته أمّ حبيبة زوج رسول الله ﷺ ورضي الله عنها. فذهب ليقعد على فراش رسول الله ﷺ فمنعته وقالت: إنّك رجلٌ مشركٌ نَجِس . فقال : والله يا بنيّة لقد أصابك بعدي شرّ. ثمّ جاء رسول الله ﷺ فعرض عليه ما جاء له. فلم يجبه ﷺ بكلمة واحدة. ثمّ ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فطلب منه أن يكلّم رسول الله ﷺ فأبى عليه . ثمّ جاء إلى عمر رضي الله عنه فأغلظ له. وقال : أنا أفعل ذلك؟! والله لو لم أجد إلاّ الذّرّ لقاتلتكم به . وجاء عليّاً رضي الله عنه فلم يفعل.وطلب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها أن تأمر ولدها الحسن أن يجير بين النّاس. فقالت: ما بلغ بُنَيَّ ذلك. وما يجير أحدٌ على رسول الله ﷺ . فأشار عليه عليٌّ رضي الله عنه أن يقوم هو

---

(١) انظر السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٤و٣٣٥.

(٢) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٥.

(٣) انظر السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٥ .

(٤) انظر السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٥ والفصول في سيرة الرّسول ١٩٦.

فيجير بين النّاس ففعل. ورجع إلى مكة فأعلمهم بما كان منه ومنهم فقالوا: والله ما زاد –يعنون عليّاً– أن لعب بك[١].

وكانت قريش قد نقضت عهد الحديبية بعد سنة وتسعة أشهر[٢] تقريباً.

أمر النّبيّ ﷺ النّاس بأن يتجهّزوا للغزو، ولم يعلن عليه الصّلاة والسّلام عن وجهته جرياً على سنّته ، وسأل الله تعالى:" اللّهمّ خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريش حتّى نَبْغَتَها في بلادها"[٣] فاستجاب الله تعالى دعاءه. ولهذا حينما أراد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه الصّحابيّ البدريّ الّذي شهد الحديبية وشهد الله تعالى له بالإيمان في أوّل سورة الممتحنة[٤] حينما أراد أن تكون له يدٌ عند قريش يحمي بها أهله وأرسل إليهم كتاباً يخبرهم فيه بتوجّه النّبيّ ﷺ بالجيش إليهم، أوحى الله عزّ وجلّ إلى النّبيّ ﷺ بما فعل حاطب. لقد أرسل حاطبٌ الكتاب مع امرأةٍ كي توصله إلى قريش وأعطاها على ذلك مبلغاً من المال. أرسل النّبيّ ﷺ عليّاً والزّبير والمقداد وراء المرأة وقال لهم: انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ[٥] فإنّ بها ظعينة[٦] معها كتابٌ فخذوه منها[٧] انطلق الثلاثة على خيلهم فوجدوا المرأة وطلبوا منها الكتاب فأنكرت أوّل الأمر. ولمّا تبيّنت الجدّ طلبت منهم أن يَتَنَحَّوْا عنها قليلاً ففعلوا،فأخرجت الكتاب الّذي كانت قد أخفته في شعر رأسها.عاد الثّلاثة إلى النّبيّ ﷺ بالكتاب:" فإذا فيه من حاطب

---

(١) الفصول في سيرة الرّسول ١٩٦.

(٢) الفصول في سيرة الرّسول ١٩٥.

(٣) السّيرة النّبويّة ٣٣٧/٢.

(٤) انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللّغات ١٥١./١

(٥) روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة، وقد أكثرت الشعراء من ذكر هذه الروضة ومدحها.ياقوت :" خاخ" .

(٦) الظّعينة لفظ يُطْلَق على الرّاحلة، وعلى الهودج ، وعلى المرأة في الهودج.

(٧) فتح الباري ٦٣٣/٨ حديث رقم ٤٨٩٠.

بن أبي بَلْتَعَة إلى أناس من المشركين مِمّن بمكّة يُخْبِرُهُمْ ببعض أمر النّبيّ ﷺ فقال النّبيّ ﷺ: ما هذا يا حاطب؟ قال : لا تَعْجَلْ عليّ يا رسول الله. إنّي كنت امرءاً من قريش ولم أكن من أَنْفُسِهِمْ. وكان من معك من المهاجرين لهم قَرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكّة. فأحببتُ إذ فاتني من النَّسب فيهمِ أن أصطنع إليهم يَداً يحمون قرابتي.وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني. فقال النّبيّ ﷺ: إنّه قد صدقكم . فقال عمر : دعني يا رسول الله فأضرب عنقه. فقال: إنّه شَهِدَ بدراً. وما يدرك لعلّ الله عزّ وجلّ اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[1] فأنزل الله السّورة[2] والمراد سورة الممتحنة[3] وقد نصّ الإمام النّوويّ في ترجمته له[4] على أنّه رضي الله تعالى عنه قد نزلت فيه الآيتان الكريمتان الأوليان من سورة الممتحنة الكريمة.

وهذا تفسيرٌ موجزٌ للآيات الكريمات الّتي لها عَلاقةٌ مباشرةٌ بحاطب وبأمثاله من المؤمنين، وبالأسوة الحسنة في إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام والّذين معه. قال عزّ من قائل في سورة الممتحنة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم

(١) فتح الباري ٦٣٤/٨ حديث رقم ٤٨٩٠.

(٢) فتح الباري ٥١٩/٧ حديث رقم ٤٢٧٤.

(٣) انظر أسباب النّزول ٤٨٥ والإتقان ٤٣/١.

(٤) تهذيب الأسماء واللّغات ١٥١/١.

بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾

والمعنى، والله تعالى أعلم ، يا أيّها الّذين آمنوا بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً، وبالقرآن الكريم منهجاً، لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياءَ وأنصاراً[1] أصدقاءَ وأخلاّء[2]تلقون إليهم مودّتكم إيّاهم[3] وقد

(١) تفسير الطّبري ٣٧/٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١١١/٨

(٣) تفسير الطّبري ٣٧/٢٨

كفروا بما جاءكم من الحقّ من الله تعالى، وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الّذي انزله على رسوله[١] يخرجون الرّسول ﷺ من مكّة[٢] ويخرجونكم يا أصحاب محمّدﷺ لأن آمنتم بالله [٣] تعالى ربّكم، إن كنتم خرجتم أيّها المؤمنون جهاداً في سبيلي، وابتغاء مرضاتي. تُسِرّون أيّها المؤمنون بالمودّة إلى المشركين بالله[٤] وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض فأسرّه منه[٥] وأعلم أيضاً منكم ما أعلنه بعضكم لبعض[٦] ومن يفعل ذلك منكم بإسرار المودّة إلى المشركين فقد ضلّ سواء السّبيل ، وانحرف عن الطّريق القويم. ولا يخفى أنّ المقصود في المقام الأول حاطب بن أبي بلتعه ﷺ . إنّ أولئك المشركين إن يظفروا بكم[٧]يكونوا لكم أعداءً ، ويمدّوا إليكم أيديهم بالسُّوءِ والأذى ، وألسنتهم بالشّتم والإهانة . وودّ أولئك المشركون أنّكم كفرتم مثلهم كيلا تكونوا خيراً منهم. لن تنفعكم عند الله تعالى أرحامكم أيّها المؤمنون ولا أولادكم لأنّهم مشركون. والله تعالى سوف يفصل بينكم يوم القيامة، فيثيب المحسن،ويعاقب المسيء. والله تعالى بما تعملون أيّها المؤمنون وأيّها النّاس بصير، فلا يخفى على الله تعالى شيء في الأرض ولا في السّماء.

قد كانت لكم أيّها المؤمنون قدوةٌ حسنةٌ[٨]وأسوةٌ طيّبة في إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء وفي أتباعه الّذين آمنوا معه[٩]حين قالوا لقومهم الكفّار إنّا

---

(١) تفسير الطّبري ٣٧/٢٨.

(٢) تفسير الطّبري ٣٧/٢٨.

(٣) تفسير الطّبري ٣٨/٢٨.

(٤) تفسير الطّبري ٣٨/٢٨.

(٥) تفسير الطّبري ٣٨/٢٨.

(٦) تفسير الطّبري ٣٨/٢٨.

(٧) الجلالين .

(٨) تفسير الطّبري ٤١/٢٨ والجلالين.

(٩) تفسير ابن كثير ١١٣/٨.

بريئون منكم وممّا تعبدون من دون الله تعالى من الأصنام والأوثان، وظهر جليّاً بيننا وبينكم العداوة السّافرة، والبغضاء والنّفور القلبيّ والنّفسيّ منكم[1] دائماً وأبداً، حتّى تؤمنوا بالله تعالى وحده لا شريك له.

قد كانت لكم أيّها المؤمنون في إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء أسوةٌ حسنةٌ إلاّ في قول إبراهيم عليه السّلام لأبيه لأستغفرنّ لك[2]وأنا يا أبي ما أملك لك من الله تعالى شيئاً إن أراد عزّ وجلّ لك الهداية أو الضّلالة.

واستمرّ إبراهيم عليه السّلام وأتباعه المؤمنون يقولون يا ربّنا عليك توكّلنا واعتمدنا، وإليك أنبنا ورجعنا، وإليك المصير بعد الموت، والرّجوع للحساب والجزاء .

يا ربّنا لا تجعلنا فتنةً للّذين كفروا بك فجحدوا وحدانيّتك وعبدوا غيرك بان تسلّطهم علينا فيروا أنّهم على حقٍّ وأنا على باطل فتجعلنا بذلك فتنةً لهم[3] واغفر لنا ذنوبنا يا ربّنا، إنّك العزيز في ملكك الحكيم في صنعك.

لقد كان لكم أيّها المؤمنون في إبراهيم عليه السّلام وأتباعه المؤمنين أسوةٌ حسنة ، وقدوةٌ طيّبة، لمن كان منكم يرجو ثواب الله تعالى العاجل والآجل، ومن كان يرجو الفوز العظيم يوم القيامة بالخلود في جنّات النّعيم.

أمّا من يتولّى عن ذكرى ويُعْرِض عن هَدْيِي فليعلم أنّ الله تعالى هو الغنيّ عن مخلوقاته، المحمود على كلّ حالٍ سبحانه.

وبوصول كتاب حاطب ﷺ عنه إلى يد النّبيّﷺ تأكّدت استجابة الله تعالى دعوة حبيبه ﷺ بأن يأخذ عزّ وجلّ العيون والأخبار عن قريش حتّى يبغتها عليه الصّلاة والسّلام في بلادها.

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني :" بغض " ١/٧٠.

(٢) تفسير الطّبري ٢٨/٤١.

(٣) تفسير الطّبري ٢٨/٤٢.

تجهّز النّبيّ ﷺ للسّفر، وأمر أصحابه بذلك، واستنفر الأعراب الّذين حول المدينة وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة. فقدم جمعٌ من قبائل أسلم وغِفار ومزينة وأشجع وجهينة[١] وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلّف عنه منهم أحد [٢]وانطلق رسول الله ﷺ من المدينة المنوّرة في جيش الفتح.وأدركه عيينة بن حصن الفزاريّ، والأقرع بن حابس[٣] في الطّريق. وكان خروجه عليه الصّلاة والسّلام لعشر مضين من رمضان[٤] وبلغ جيشه عليه الصّلاة والسّلام عشرة آلاف من المسلمين. فسبّعت سُلَيْم، وبعضهم يقول أَلَّفَتْ[٥] وألّفت مزينة، وفي كلّ القبائل عَدَدٌ وإسلام[٦].

وصام رسول الله ﷺ وصام النّاس معه. حتّى إذا كان بالكُدَيد[٧] بين عُسْفان وأَمَج أفطر[٨].

وفي الطريق لقي بعض المهاجرين ، ولقي عمّه العبّاس بن عبدالمطّلب بالجُحْفة مهاجراً بعياله. وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكّة على سِقايته. ورسول الله ﷺ عنه راضٍ[٩] فأمره رسول الله ﷺ أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه. وقال

---

(١) نور اليقين ٢٤٤ .

(٢) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٩.

(٣) الكامل في التّاريخ ٢/٢٤٢.

(٤) الكامل في التّاريخ ٢/٢٤٢ والسّيرة النّبويّة ٢/٣٣٩.

(٥) سبّعت سليم : أي كانت سبع مئة . وألّفت : أي كانت ألفاً.

(٦) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٩و٣٥٦.

(٧) الكديد يقال بالتّصغير ويقال بالتّكبير الكَدِيد.

(٨) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٩.

(٩) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٩.

له:أنت آخر المهاجرين، وأنا آخر الأنبياء[١] فأرسل العبّاس أهله وعياله إلى المدينة[٢].

سار النّبيّ ﷺ حتّى نزل مَرَّ الظهران بالقرب من مكّة المكرّمة، وقد عُمِّيَتْ الأخبار عن قُرَيش فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل[٣] وأَمَرَ رسول الله ﷺ بإيقاد عشرة آلاف نار[٤] بعدد أفراد الجيش.

كانت قريش خائفةً من النّبيّ ﷺ. وخرج في تلك اللّيالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن وَرْقاء يتحسّسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به[٥] وإليك في هذا الشّأن الحديث من صحيح البخاريّ[٦]:" لمّا سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان بن حرب ، وحَكِيم بن حِزام، وبُدَيْل بن وَرْقاء، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ. فأقبلوا يسيرون حتّى أَتَوْا مَرَّ الظّهران ، فإذا هم بنيرانٍ كأنّها نيرانٍ عرفة. فقال أبو سفيان: ما هذا؟ لكأنّها نيران عرفة. فقال بديل بن ورقاء:نيران بني عمرو[٧] فقال أبو سفيان: عمروٌ أقلّ من ذلك. فرآهم ناسٌ من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ. فأسلم أبو سفيان. فلمّا سار قال للعبّاس: احبس أبا سفيان عند خَطْم الجبل[٨] حتّى ينظر إلى المسلمين. فحبسه العّباس. فجعلت القبائل تمرّ مع النّبيّ ﷺ. تمرّ كتيبةً كتيبةً على أبي سفيان.

---

(١) الكامل في التّاريخ ٢/٢٤٢.

(٢) نور اليقين ٢٤٦.

(٣) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٩.

(٤) نور اليقين ٢٤٦ وفتح الباري ٨/٧.

(٥) السّيرة النّبويّة ٢/٣٣٩.

(٦) فتح الباري ٨/٥ حديث رقم ٤٢٨٠.

(٧) بنو عمرو: يعني خزاعة. فتح الباري ٨/٧.

(٨) عند خطم الجبل : عند أنف الجبل فتح الباري ٨/٨.

فمرت كتيبة فقال: يا عبّاس من هذه؟ فقال: هذه غِفار. قال مالي ولِغِفار. ثمّ مرّت جُهَيْنَة. قال مثل ذلك. ثمّ مرّت سعد بن هُذَيْم. فقال مثل ذلك. ومرّت سُلَيْم. فقال مثل ذلك.حتى أقبلت كتيبةٌ لم يَرَ مِثْلَها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سعد بن عُبادة معه الرّاية. فقال سعد بن عبادة : يا أبا سُفْيان، اليومَ يومُ الملحمة[1] اليوم تُسْتَحَلُّ الكعبة[2] فقال أبو سفيان : يا عبّاس ، حبّذا يومُ الذِّمار[3] ثمّ جاءت كتيبة – وهي أقلّ الكتائب – فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه . وراية النّبيّ ﷺ مع الزّبير بن العوّام. فلمّا مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد ابن عبادة؟ قال: ماذا قال؟ قال: كذا وكذا . فقال: كذب سعد[4] ولكن هذا يومٌ يُعَظِّمُ الله فيه الكعبة، ويومٌ تُكْسيَ فيه الكعبة.قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تُرْكز رايته بالحَجُون".

وثمّة بعض الإضافات المفيدة في السّيرة النّبويّة . وهي في الاقتباس التّالي[5]:" فلمّا نزل رسول الله ﷺ مَرَّالظّهران، قال العبّاس بن عبدالمطّلب: فقلت: واصباح قريش . والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكّة عَنْوَةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنّه لهلاكُ قريش إلى آخر الدّهر. قال: فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها. قال: حتّى جئت الأراك[6] فقلت: لعلّي أجد بعض الحطّابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكّة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليَخْرُجُوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوة . قال: فوالله إنّي لأسير عليها وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعتُ كلام أبي سفيان وبُدَيْل بن ورقاء وهما

---

(١) يوم الملحمة : يوم المقتلة العظمى . فتح الباري ٨/٨

(٢) أي تستحلّ حرمة الكعبة.

(٣) أي هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه .فتح الباري ٨/٨.

(٤) أي أخطأ سعد . فتح الباري ٩/٨.

(٥) السيّرة النّبويّة ٢/٣٤٠-٣٤٢.

(٦) أي المكان الّذي يكثر فيه شجر الأراك الّذي يستاك به.

يتراجعان ..... قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظله ، فعرف صوتي. فقال: أبو الفضل؟قال : قلت: نعم . قال: مالك؟ فِداك أبي وأمّي. قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان. هذا رسول الله ﷺ في النّاس . واصباحَ قريشٍ والله . قال: فما الحيلة؟ فِداك أبي وأمّي . قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتّى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك. قال: فركب خلفي ورجع صاحباه. قال: فجئت به. كلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: مَنْ هذا ؟ فإذا رَأَوْا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمّ رسول الله ﷺ على بغلته. حتّى مررتُ بنار عمر بن الخطّاب ﷺ فقال: من هذا؟ وقام إليّ. فلما رأى أبا سفيان على عَجُز الدّابّة قال: أبو سفيان عَدُوُّ الله ! الحمدُ لله الّذي أمكن منك بغير عَقْدٍ ولا عهد. ثمّ خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ ورَكَضْتُ البغلة. فَسَبَقْتُهُ بما تسبق الدّابّة البطيئةُ الرّجلَ البَطيء. قال: فاقتحمت عن البغلة،قد خلت على رسول اللهﷺ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله . هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْدٍ ولا عَهْد. فَدَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عنقه. قال: قلت يا رسول الله إنّي قد أَجَرْتُه. ثمّ جَلَسْتُ إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه اللّيلة دوني رجل..... فقال رسول الله ﷺ : اِذْهبْ به يا عبّاس إلى رَحْلِك، فإذا أصبحت فأتني به. قال: فذهبت به إلى رحلي. فبات عندي. فلمّا أصبح غدوت به إلى رسولﷺ. فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان. ألم يَأْنِ[1]لك أن تعلم أنّه لا إله إلاّ الله. قال: بأبي أنت وأمّي . ما أَحْلَمَكَ وأكرمك وأوصلك. والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إلهٌ غيره لقد أغنى عنّي شيئاً بعد. قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله. قال: باني أنت وأمّي.ما أحلمك وأكرمك

(١) ألم يأن : ألم يحن الوقت.

وأوصلك! أمّا هذه والله فإنّ في النّفس منها حَتّى الآن شيئاً. فقال له العبّاس: ويحك! أَسْلِمْ واشْهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله قبل أن تُضْرَب عُنُقُك. قال: فشهد شهادة الحقّ فأسلم.قال العبّاس: قلت يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يُحِبّ هذا الفَخْرَ فاجعل له شيئاً. قال: نعم . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن أغلق بابه فهو آمن. ومن دخل المسجد فهو آمن. فلمّا ذهب لينصرف قال رسول اللهﷺ: يا عبّاسُ احْبِسه بمضيق الوادي عند خَطْم الجبل حتّى تمرّ به جنود الله فيراها".

بعد أن أسلم أبو سفيان ورأى كتائب المسلمين عاد أدراجه إلى قومه بمكّة المكرّمة:" حتّى إذا جاءهم صَرَخَ بأعلى صَوْته: يا معشر قريش، هذا محمّدٌ قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه[1] فقالت: اُقْتُلُوا الحَمِيت الدَّسِم الأحمس[2] قُبِّح من طليعة قوم. قال: ويلكم لا تغرّنّكم هذه من أنفسكم فإنّه قد جاءكم مالا قِبَلَ لكم به. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله! وما تُغْنِي عنّا دارك. قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرّق النّاس إلى دورهم وإلى المسجد"[3]

انطلق المصطفى ﷺ بجيشه حتّى انتهى إلى ذي طُوى[1] وقف على راحلته مُعْتَجِراً[2] بشُقّة بُرْد حَبِرَة[3] حمراء. وإنّ رسول اللهﷺ ليضع رأسه

---

(١) جاء في الكامل لابن الأثير٢/٢٤٦:" فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشّيخ الأحمق فقال: أرسلي لحيتي، وأُقْسِم لئن أنتِ لم تسلمي لتضربنّ عنقك. ادخلي بيتك . فتركته"

(٢) الحميت : زق السّمن . الأحمس : الشّديد اللّحم.

(٣) السّيرة النّبويّة ٢/٣٤٢

(١) ذو طوى: وادٍ من أودية مكّة المكرّمة، كلّه معمورٌ اليوم، ويشمل عدّة أحياء. وانحصر الاسم في بئر ذي طوى في حيّ جرول. وهي موضع مبيته عليه الصّلاة والسّلام بجيش الفتح هناك.

(٢) الاعتجار: التّعمّم بغير ذؤابة.

تَواضُعاً لله حين رأى ما أكرمه الله من الفتح، حتّى إن عُثْنُونَه[٤] ليكاد يمسّ واسطة الرّحل[٥].

وبأمْرٍ من رسول الله ﷺ انطلقت جيوش الفتح من ذي طوى[٦] وقد نهى عليه الصّلاة والسّلام جيوشه عن قتال من لم يقاتلهم[٧].

لقد كان خالد بن الوليد ﷺ على المجنّبة اليُمْني للجيش. وقد أمره عليه الصّلاة والسّلام أن يدخل من أسفل مكّة، من كُديّ[٨] وهو أوّل يومٍ أمّر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد[٩] وكان الزّبير بن العوّام ﷺ على المجنّبةِ اليُسْرَى للجيش. وقد أمره عليه الصّلاة والسّلام أن يدخل من كُدىً[١٠] ويسمّى حاليّاً ربع الرَّسَّام، وهو أقصر الطّرق إلى المسجد الحرام. ودخل عليٌّ ﷺ عنه من كَداء بأعلى مكّة وهو جبلٌ يُعْرَف حاليّاً باسْم الحَجُون. وكان النّبيّ ﷺ قد أمره أن يأخذ الرّاية من سعد بن عبادة ﷺ للمقالة الّتي قالها لأبي سفيان، وأن يكون عليّ ﷺ هو الّذي يدخل بها ففعل [١] وأقبل أبو عبيدة بن الجراح ﷺ في مقدّمة الجيش[٢] بين يدي رسول الله ﷺ[٣] الّذي كان في قلب الجيش[٤] وقد

---

(٣) الحبرة : ضربٌ من ثياب اليمن.

(٤) العثنون : ما نَبَت على الذَّقَن وتحته سُفْلاً.

(٥) السّيرة النّبويّة ٣٤٣/٢.

(٦) السّيرة النّبويّة ٣٤٤/٢.

(٧) انظر الكامل في التّاريخ ٢٤٧/٢ والسّيرة النّبويّة ٢/ ٣٤٦.

(٨) السّيرة النّبويّة ٣٤٤/٢ والكامل في التّاريخ ٢٤٦/٢.

(٩) الكامل في التّاريخ ٢٤٦/٢.

(١٠) السّيرة النّبويّة ٣٤٤/٢.

(١) انظر السّيرة النّبويّة ٣٤٤/٢ والكامل في التّاريخ ٢٤٦/٢ والفصول في سيرة الرّسول ٢٠١.

(٢) الفصول في سيرة الرّسول ٢٠١ وانظر السيرة النّبويّة ٣٤٤/٢

(٣) السّيرة النّبويّة ٣٤٤/٢

(٤) الفصول في سيرة الرّسول ٢٠١

اتّجه النّبيّ ﷺ شَمالاً ثمّ دخل من أذاخر، حتّى نزل بأعلى مكّة. وضُرِبَتْ له هنالك قُبَّته[٥] وأمر الزّبير بن العوّام ﷺ أن يركز رايته عليه الصّلاة والسّلام وذلك عند سَفْحِ كَداء أو الحَجُون[٦] حيث يوجد حاليّاً مسجدٌ هو مسجد الرّاية.

لم يصادف النّبيّ ﷺ ولا جيوشه أيّ مقاومة سوى جيش خالد بن الوليد الّذي سحق المشركين سَحْقاً. وبذلك دخل بن الوليد ﷺ من أسفل مكّة بجيشه عَنْوَة. وكان فتح مكّة صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان[٧] وقد عيّن الرّسول ﷺجيوشه المواضع الّذي تَنْزِل فيها قريباً من المسجد الحرام[٨].

ركب ﷺ ناقته وهو منحنٍ على الرّحل تواضعاً لله وشكراً له على هذه النّعمة حتّى تكاد جبهته تمسّ الرّحل[٩] وأسامة بن زيد رديفه[١٠]وكان ﷺ يقرأ وهو على ناقته سورة الفتح يرجّع[١] والتّرجيع قراءة مجوَّدةٌ يرتبط بها رفع الصّوت وتحسينه والتّكرار لما يُقْرأ.وسورة الفتح تتحدّث في صلح الحديبية، وفي الكثير من أمور الغيب، ومنها فتح مكّة المكرّمة.

سار المصطفى ﷺ حتّى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته، يستلم الرّكن بِمِحْجَن[٢] في يده[٣]ولم يَسْعَ رسول الله ﷺ لأنّه لم يكن محرماً[٤] وكان

---

(٥) انظر السّيرة النّبويّة ٣٤٤/٢

(٦) انظر فتح الباري ٦/٨ حديث رقم ٤٢٨٠و١٨ حديث رقم ٤٢٩٠و٤٢٩١

(٧) انظر السّيرة النّبويّة ٣٣٩/٢ ونور اليقين ٢٤٨ والفصول في سيرة الرّسول ٢٠٢ وفتح الباري ٣/٨ حديث رقم ٤٢٧٦.

(٨) انظر – مثلاً– فتح الباري ١٠/٨

(٩) نور اليقين ٢٤٨والكامل في التّاريخ ٢٤٦/٢ والفصول في سيرة الرّسول ٢٠١.

(١٠) فتح الباري ١٨/٨ حديث رقم ٤٢٨٩

(١) فتح الباري ١٣/٨ حديث رقم ٤٢٨١.

(٢) المحجن : عود معوجّ الطّرف يمسكه راكب البعير في يده.

(٣) السيّرة النّبويّة ٣٤٨/٢.

حول البيت ثلاثمائة وستّون صنماً[٥] فجعل رسول الله ﷺ يطعنها بعودٍ في يده ويقول: جاء الحقّ وزهق الباطل، جاء الحقّ وما يبدئ الباطل وما يعيد[٦] ويقرأ[٧]: ﴿ وقل جاء الحقّ وزهق الباطل * إنّ الباطل كان زهوقا ﴾ فما أشار إلى صَنَمٍ منها في وجهه إلاّ وقع لقفاه. ولا أشار إلى قفاه إلاّ وقع لوجهه[٨].

فلما قضى ﷺ طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له[٩] وقد كان في البيت أصنام. فأبى عليه الصّلاة والسّلام أن يدخل البيت وفيه الآلهة. فأمر بها فَأُخْرِجت. فَأُخْرِج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام. فقال النّبيّ ﷺ : قاتلهم الله. لقد عملوا ما استقسما بها قط. ثمّ دخل البيت [١٠] ومعه أسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة. فمكث فيه نهاراً طويلاً. ثمّ خرج فاستبق النّاس. فكان عبدالله بن عمر أوّل من دخل. فوجد بلالاً وراء الباب قائماً. فسأله: أين صلّى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الّذي صلّى فيه. قال عبدالله: فنسيت أن أسأله: كم صَلّى سجدة[١] فكان ابن عمر إذا دخل البيت مّشّى قِبَلَ وجهه وجعل الباب قِبَل ظهره، حتّى

---

(٤) انظر فتح الباري ١٥/٨حديث رقم ٤٢٨٦ والفصول في سيرة الرّسول ٢٠٢.

(٥) انظر فتح الباري ١٥/٨ حديث رقم ٤٢٨٧ ونور اليقين ٢٤٨ والسيّرة النّبويّة ٣٥٣/٢.

(٦) انظر فتح الباري ١٥/٨ حديث رقم ٤٢٨٧ ونور اليقين ٢٤٨ والكامل في التّاريخ ٢٥٢/٢.

(٧) سورة الإسراء ٨١.

(٨) الكامل في التّاريخ ٢٥٢/٢ والسّيرة النّبويّة ٣٥٢/٢.

(٩) السيّرة النّبويّة ٣٤٨/٢ وفتح الباري ١٨/٨ حديث رقم ٤٢٨٩ وجاء في السيّرة النّبويّة ٣٤٩/٢ أنّه عليه الصّلاة السّلام أمر بطمس كلّ الصّور في الكعبة.

(١٠) فتح الباري ١٦/٨ حديث رقم ٤٢٨٨.

(١) فتح الباري ١٨/٨ حديث رقم ٤٢٨٩.

يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرعٍ ثمّ يصلّى.يتوخّى[٢] بذلك الموضع الّذي قال له بلال[٣].

ثمّ قام رسول الله ﷺ على باب الكعبة فقال:لا إله إلاّ الله وَحْدَه لا شريك له.صَدَقَ وعده،ونَصَرَ عبده، وهَزَم الأحزاب وحده.ألا كلّ مأثُرةٍ[٤] أو دمٍ أو مالٍ يُدَّعى فهو تحت قدميَّ هاتين،إلاّ سِدانةَ البيت[٥]وسِقاية الحاجّ. ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسَّوْط والعصا،ففيه الدِّيةُ مُغَلَّظة.مئة من الإبل. أربعون منها في بطونها أولادها.يا معشر قريش، إنّ الله قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهليّة وتعظّمها بالآباء. النّاس من آدم وآدم من تراب. ثم تلا هذه الآية[٦]:﴿ يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا* إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم * إنّ الله عليمٌ خبير ﴾[٧]ثمّ قال:يا معشر قريشٍ،ما تظنّون أنّى فاعلٌ بكم؟قالوا خيراً.أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم. فقال عليه السّلام: اذهبوا فأنتم الطّلقاء[١] وأمر عليه الصّلاة والسّلام بطمس كلّ الصّور في الكعبة[٢].

ثمّ جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه عليّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحِجابةَ[٣] مع السِّقاية صلّى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ : أين عثمانُ بنُ طلحة؟ فَدُعِيَ له فقال: هاك

---

(٢) يتوخّى : يتحرّى ويقصد.

(٣) السّيرة النّبويّة ٢/٣٥٠

(٤) المأثرة: الخصلة المحمودة الّتي تتوارث ويتحدّث بها النّاس.

(٥) سدانة البيت : خدمته.

(٦) سورة الحجرات (١٣).

(٧) السيّرة النّبويّة ٢/٣٤٨ وانظر بعض الأحكام الأخرى في نور اليقين ٢٤٩.

(١) السيّرة النّبويّة ٢/٣٤٩.

(٢) نور اليقين ٢٤٩ وانظر السيّرة النّبويّة ٢/٣٤٩.

(٣) الحجابة هي السّدانة وخدمة البيت العتيق.

مفتاحَكَ يا عثمان. اليومُ يومُ بِرّ ووفاء[٤] وذكر سفيان بن عُيَيْنَةَ أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: إنما أُعطيكم ما تُرْزَءُون لا ما تَرْزَءُون[٥].

وقد جلس رسول الله ﷺ للبيعة على الصَّفا.وعمر بن الخطّاب تحته . واجتمع النّاس لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام.فكان يبايعهم على السّمع والطّاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا. فكان هذه بيعة الرّجال[٦].

ولمّا فرغ ﷺ من بيعة الرّجال بايع النّساء، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان متنقّبة متنكّرة لما كان من صنيعها بحمزة. قال رسول الله ﷺ لهنّ بايعنني على ألاّ تشركن بالله شيئاً. فقالت هند: والله إنّك لتأخذ علينا مالا تأخذ من الرّجال. ولا تسرقن.فقالت: والله إنّي كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة[٧] وما كنت أدرى أكان ذلك حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان – وكان شاهداً لما تقول– أمّا ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حِلّ. فقال رسول الله ﷺ :وإنّك لهند بنت عتبة؟ قالت:نعم، فاعف عمّا سلف عفا الله عنك. ثمّ قال:ولا تزنين.فقالت:يا رسول الله! وهل تزني الحرّة!ثمّ قال : ولا تقتلن أولادكنّ. قالت:ربّيناهم صغاراً، وقتلتهم يوم بدر كباراً[١] فأنت وهم أعلم. فضحك عمر بن الخطّاب ﷺ حتّى استغرق[٢] ثمّ قال:﴿ ولا يأتين ببهتانٍ يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ ﴾[٣]فقالت : والله إنّ إتيان البهتان لقبيح. ولبعض التّجاوز أمثل. ثم قال: ولا يعصينني . فقالت: في معروف[٤].

---

(٤) السّيرة النّبويّة ٣٤٩/٢.

(٥) السّيرة النّبويّة ٣٤٩/٢ أي أعطيكم ما تتعبون من أجله وتدفعون المال كالسِّقَاية. ولا أعطيكم ما يتعب الآخرون من أجله ويدفعون المال كالسِّدانة.

(٦) الكامل في التّاريخ ٢٥٢/٢

(٧) الهنة : الشّيء اليسير من الشّيء.

(١) هذه رواية الكامل في التّاريخ ٢٥٣/٢ بزيادة :"يوم بدر"

(٢) استغرق في الضّحك : بالغ فيه.

(٣) الآية ١٢ من سورة الممتحنة.

(٤) السّيرة النّبويّة لأبي الحسن النّدوى٢٨٦

وقد بيّن النّبيّ ﷺ في إحدى خطبه حرمة مكّة المكرّمة. ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاريّ[٥] أنّه عليه الصّلاة والسّلام حَمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ مكّة حرّمها الله ولم يحرّمها النّاس . لا يحلّ لا مرىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يَعْضِد[٦] بها شجراً. فإنْ أحدٌ ترخّص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إنّ الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم. وإنّما أذن له فيها ساعةً من نهار. وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. وليبلّغ الشّاهد الغائب.

ثمّ بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزّى، وكانت بنخلة[٧] كانت بَيْتاً يعظّمه هذا الحيّ من قريش وكنانة ومضر كلّها. فلمّا انتهى إليها خالدٌ هدمها.ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ [٨].

وأرسل عليه الصّلاة والسّلام عمرو بن العاص لهدم سُواع، وهو أعظم صنم لهذيل. وهيكله على ثلاثة أميالٍ من مكّة فذهب إليه وهدمه[٩].

وبعث عليه الصّلاة والسّلام سعد بن زيد الأشهليّ في عشرين فارساً لهدم مناة، وهي صنم لكلب وخزاعة. وهيكلها بالمشلَّل. وهو جبلٌ على ساحل البحر يهبط منه إلى قديد. فتوجّهوا إليها وهدموها[١].

وكان جميع من شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلافٍ[٢] .

وكان فتح مكّة كما سبق أن تقرّر لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان[٣] في صبح يوم الجمعة[٤].

---

(٥) فتح الباري ٨/٢٠ حديث رقم ٤٢٩٥ وانظر ص ٢٦ حديث رقم ٤٣١٣.

(٦) لا يُقْطع. وأصله القطع بالمِعْضد وهو حديدة تجذب بها فروع الأشجار وتمال وتكسر.

(٧) نخلة : وادٍ بالقرب من مكّة في طريق الطّائف.

(٨) السّيرة النّبويّة ٢/٣٧٠ والفصول في سيرة الرّسول ٢٠٣.

(٩) نور اليقين ٢٥٣.

(١) نور اليقين ٢٥٣.

(٢) السّيرة النّبويّة ٢/٣٥٦.

(٣) السّيرة النّبويّة ٢/٣٧٠.

(٤) نور اليقين ٢٤٨.

وبعد فتح النّبيّ ﷺ مكّة خَشِي الأنصار أن يقيم بها رسول الله ﷺ، فلمّا علم بذلك رسول اللهﷺ قال: مَعاذَ الله. المحيا محياكم والممات مماتكم[٥].

وأقام ﷺ بمكّة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصّلاة[٦] .

وولّى النّبيّ ﷺ على مكّة عَتّاب بن أَسِيدِ وجعل رزقه كلّ يوم درهماً . فكان عتّاب ﷺ يقول: لا أَشْبَعَ الله بطناً جاع على درهمٍ كلَّ يوم[٧] وعتّاب ابن أَسِيد ﷺ أوّل من حجّ بالنّاس من أمراء المسلمين[٨].

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية:

(٥) السّيرة النّبويّة ٢/٣٥٢.

(٦) انظر نور اليقين ٢٥٣ وفتح الباري ٨/٢١ حديث رقم ٤٢٩٨ ورقم ٤٢٩٩ والسّيرة النّبويّة ٢/٣٧٠.

(٧) نور اليقين ٢٥٣.

(٨) الفصول في سيرة الرّسول ٢٠٩.